القدوة الحسنة

٨

صلاح الدين الأيوبي

ناصر السنّة وقاهر الصليبيين

د. بهاء الدّين عبد الرّحمن

دار ابن حزم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القدوة المعلم
(٨)

صلاح الدين الأيوبي
ناصر السنة وقاهر الصليبيين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القدوة الحسنة

(٨)

صلاح الدين الأيوبي

ناصر السنّة وقاهر الصليبيين

د. بهاء الدين عبد الرحمن

دار ابن حزم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدّمة

يدفعني إلى كتابة هذه النبذة المختصرة للسيرة الصلاحية المعطرة أمران :

أحدهما : واقع الأمة الإسلامية الذي يشهد ويعيش التفرق والانقسام من جهة ، وتكالب أعداء الإسلام عليه من جهة أخرى ، وهو واقع شبيه بواقعها أيام صلاح الدين ـ رحمه الله ـ

والثاني : إبلاغ الناعقين الناعبين من دعاة الباطل الزاهق ، والعنصرية المنتنة أنَّ الصراع في الوقت الحاضر منحصر بين الإسلام الحق والصليبية الباطلة ، فلا ينبغي أن تشغل الأمة بصراعات جانبية . .

وقد كان لعقيدته السُّنية السَّنية السامية أثرها في تجاوز حدود القوم إلى آفاق رحبة واسعة ، آفاق الإسلام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العظيم التي تسمو بالنفوس من وهدة العصبية القومية إلى سماء الإنسانية العالمية الرفيعة ، هذه العقيدة التي أشعلت في إحساسه أن المعركة الوحيدة التي ينبغي أن يُحْشَدَ لها جميع الطاقات هي معركة الحق مع الباطل ، معركة المسلمين مع القوة الصليبية الغازية .

فليت شعري متى يدرك بنو أمتي أن الاختلاف بين الشعوب والقبائل إنما هو مثل الاختلاف بين أبناء الأسرة الواحدة ، فهو من التنوع الذي يحصل به التعاون والتعارف ، فلا ينبغي لشعب أن يظلم شعباً آخر ولا أن يتعالى عليه ويسخر منه ، كما لا ينبغي لأفراد الأسرة أن يفعلوا مثل ذلك .

وأدعو الله ـ عزّ وجل ـ أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصاً له سبحانه ، ودافعاً لمن يقرأه إلى التأسي بالمجاهدين الصالحين ليكون له صالحة في بنيان الأمة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المرصوص المنتظر . . اللهم بلغنا عهداً نرى فيه عزة المسلمين وصَغَار الكافرين . آمين .

الشدائد تنتج الأشداء

في ليلة حالكة السواد كحلوكة المائة السادسة من الهجرة ، وفي وقت عصيب على أسرة نجم الدين أيوب بن شادي عَصْبَ المخاطر المحدقة بالأمة في ذلك العصر ، ولد لنجم الدين ولدٌ سماه صلاح الدين يوسف ، وعقب الولادة تلك الليلة كان على أسرة نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه أن تغادر قلعة تكريت بأمر من رئيس شرطة بغداد صاحب القلعة ، وكان ذلك سنة ٥٣٢هـ .

سار أيوب وأخوه شيركوه نحو الموصل قاصدين عماد الدين زنكي لعلهما يجدان عنده ملجأ ، حيث كان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهما فضل سابق على عماد الدين عندما كانا في قلعة تكريت ، فقد حدث أن انهزم عماد الدين أمام الجيش الذي أتى لنصرة الخليفة العباسي المسترشد ، فلجأ عماد الدين إلى تكريت ، وكان القائم عليها نجم الدين أيوب ، فأكرمه وخدمه ، بأن أقام له السفن لعبور دجلة .

ولم ينسَ عماد الدين ما قدم له نجم الدين أيوب ، فأكرم نزله ونُزل أخيه ، وجعلهما من قواده المقربين . وعندما استولى عماد الدين على بعلبك أقطعها لنجم الدين أيوب .

كان العصر عصر تناحر وتنافر ، فقد كانت البلاد الإسلامية منقسمة انقساماً عجيباً من شرقها إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها ، ودويلاتها موزعة على التبعية الاسمية لثلاث خلافات : خلافة بني العباس في المشرق ، وخلافة بني عبيد في مصر ، وخلافة لدول

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطوائف في المغرب .

وكانت الدويلات والحُكيِّمات في حالة اقتتال دائم فيما بينهـا ، فكان هم كل حاكم أو سلطان أو ملك أو أتابك ـ وما أكثرها من ألقاب ـ كان هم كل واحد منهم توسيع ما تحت يده من الأراضي ، لتدر عليه المال الوفير الـذي يمكن بوسـاطتـه تكثير أفراد قوته وتسليحهم ، لأجل المزيد من التوسع .

في هذه الظروف الحالكة كان الغرب الصليبي يتحد تحت قيادة البـابـا أُربان ، وتتجه جحافل جيوشه نحو الشرق الإسلامي للاستيلاء على القدس ، وقد تم لهم ما أرادوا ، فاستولوا على ما بيد المسلمين من ثغور وقلاع ومـوانىء على البحـر المتـوسط ، حتى استـولـوا على القدس ، وقتلوا فيها ما يزيد عن سبعين ألف مسلم ، وفي هذا يقول شاهد من أهل الصليب : وشاهدنا أشياء عجيبـة ، إذ قطعت رؤوس عدد كبـير من المسلمين ، وقتل غيرهم رمياً بالسهام ، أو أرغموا أن يُلقوا بأنفسهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من فوق الأبراج ، وظل بعضهم يعذبون عدة أيام ، ثم أحـرقوا بالنار ، وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام ، وكانت النساء يقتلن طعناً بالسيوف والحراب ، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار .

كل هذا والمسلمـون في تفـرق وشتات ، والخليفة العباسي ، وكذلك الخليفة العبيدي في عداد المشلولين ، بل الأموات .

في هذه الظروف العصيبة والسنين الحالكة الرهيبة ، هيَّأ الله لمجابهة الصليبيين مملوكاً تركياً استطاع الوصول إلى سدة الحكم في الموصل ، ومن ثم بسط نفوذه على ما حولها من إمارات كردية ، ثم توجه غرباً فضم حلب ، وأصبح في مواجهة القوات الغربية الصليبية ، وأعني بهذا المملوك عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، الذي كان مملوكاً تركياً للسلاجقة الأتراك .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخضع الأكراد لعماد الدين ، وبخاصة بعد أن جعل نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه الكرديين قائدين مقربين ، واستطاع عماد الدين بجيشه المكون في غالبيته من الأكراد والأتراك أن ينازل الجيوش الغازية ، ويستعيد بعض المدن والقلاع المهمة منهم .

وعندما قتل عماد الدين زنكي وصار الأمر في الشام إلى ابنه نور الدين محمود انضم نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه إليه ، فكانا أيضاً من قواده المقربين .

في هذا الجو نشأ صلاح الدين يوسف في كنف أبيه نجم الدين القائد الشجاع المحنك ، المحب للعدل ، الصالح الحكيم . فترعرع على الشجاعة والإقدام والفروسية ، ونشأ على حب العلم وأهله ، وحب العدل ، والالتزام بالشرع . وحَفِظَ القرآنَ ، وتفقه على العلماء ، ودرس الحديث ، ولم ينقطع عن العلم حتى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعد أن صار سلطاناً على مصر والشام ، حتى إنه كان يسمع جزءاً في الحديث وهو في المعركة بين الصفين ، وكان يحفظ حماسة أبي تمام ، ولذلك عدَّه السبكي من طبقات علماء الشافعية .

ولخصاله الحميدة ، ومواهبه العديدة ، قدَّمه نور الدين محمود فجعله رئيساً لشرطة دمشق وهو في الثامنة عشرة من عمره سنة ٥٥٠هـ .

رحلة الجهاد (٥٥٩ ـ ٥٦٩هـ)

لجأ شاور وزير الخليفة العبيدي العاضد إلى نور الدين محمود بعد أن ثار عليه الضرغام بن سوار وأصبح وزيراً للعاضد ، وطلب العون من نور الدين لاسترداد الوزارة ، على أن يقدم لنور الدين ثلث واردات مصر ، فجهز نور الدين جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين ، ووجهه مع شاور إلى مصر . وكان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صلاح الدين في مقدمة هذا الجيش الذي استطاع القضاء على الضرغام وإعادة شاور إلى سدة الوزارة ، ولكنه خان العهد ، وتمالأ مع الفرنجة على أسد الدين شيركوه الذي تحصن في بلبيس ، إلى أن انجلى الحصار ، بعودة الفرنجة إلى حصونهم خوفاً من إغارة نور الدين .

وفي سنة ٥٦٢هـ استأذن شيركوه نور الدين في العودة إلى مصر لقتال الفرنجة ، فأذن له ، وصحبه ابن أخيه صلاح الدين ، واستطاع هذا القائد بألفي فارس أن يهزم الألوف المؤلفة من الفرنجة والمتعاونين معهم من المصريين أتباع الوزير شاور ، ثم فتح الإسكندرية ، وجعل صلاح الدين نائباً فيها . ثم توجه إلى الصعيد فملكه ، وفي هذه الأثناء حاصر الفرنج والمصريون صلاح الدين في الإسكندرية ثلاثة شهور ، حتى رجع عمه فصالحه شاور ، فخرج صلاح الدين من الإسكندرية وعاد مع عمه إلى الشام .

وفي سنة ٥٦٤هـ هاجم الفرنج مصر ، فاستغاث

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العاضد العبيدي بنور الدين محمود الذي جهز جيشاً للمرة الثالثة بقيادة شيركوه ، ووجهه إلى مصر لقتال الفرنج . وكان في هذه الحملة أيضاً صلاح الدين ، وعندما وصل هذا الجيش مصر كان الفرنج قد تركوها بعد أن دفع لهم شاور أموالاً طائلة ، فأسرعوا بالمغادرة قبل وصول الجيش المسلم .

وفي هذه الحملة استطاع صلاح الدين أن يقبض على الوزير شاور ، فقُتل وأصبح شيركوه وزيراً للعاضد ، وما لبث أن توفي فتقلد الوزارة بعده صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولُقِّبَ الملك الناصر .

وقد أظهر صلاح الدين كفاءة عالية في تسيير شؤون الدولة في مصر ، وأحبه الناس ، وأخلص له قواد الجند بفضل سياسته الحكيمة ، واستطاع الانتصار على الفرنج الذين حاصروا دمياط في أيامه ، وذلك بعد أن أمده نور الدين ببعوث كان فيها أبوه نجم الدين وإخوته سنة ٥٦٥هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعندما استتب الأمر لصلاح الدين عزل قضاة العبيديين واستبدل بهم قضاة شافعية . وبنى المدارس ووقف عليها الأوقاف ، وبدأ بالإغارة على حصون الفرنج في بلاد الشام ، وقبل أن يموت العاضد بأيام قطع صلاح الدين الأذان بحيَّ على خير العمل من ديار مصر كلها ، وأقام الخطبة لبني العباس ، وبذلك انتهى حكم العبيديين في مصر سنة ٥٦٧هـ ، وآلت خزائنهم العامرة بعد موت العاضد إلى صلاح الدين الذي وزعها ، ولم يبق منها لنفسه ما يذكر ، وسلَّم مكتبتهم للقاضي الفاضل الذي أصبح كاتب السلطان صلاح الدين ومستشاره الخاص .

واستمر صلاح الدين في شن الغارات على حصون الصليبيين في فلسطين ، وبَسَطَ نفوذه على بلاد النوبة جنوباً ، وضم إليه اليمن والحجاز ، ولكنه كان لا يزال تابعاً لنور الدين محمود بن زنكي .

وعندما توفي نور الدين - رحمه الله - سنة ٥٦٩هـ وآل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمر إلى ابنه الصغير الصالح إسماعيل ، اختلف أمراؤه ، واضطربت بلاد الشام إثر ذلك . فخشي صلاح الدين أن يستغل الفرنج هذا الوضع فيستولوا على ما كان تحت يد نور الدين ، فخرج من مصر قاصداً بلاد الشام سنة ٥٧٠هـ ، ودخل دمشق ، ولم ينتطح فيها عنزان كما يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ .

وعلى الرغم من محاولات آل زنكي في الموصل وحلب الوقوف في وجه المد الصلاحي ، استطاع صلاح الدين أن يضم حلب وأن يكسب ولاء أتابكة الموصل ، وعندئذ أخذ يعد العدة لإخراج الصليبيين من بيت المقدس ، وقد استغرق هذا الأمر قرابة اثني عشر عاماً تعرض فيها صلاح الدين لأهوال ومؤامرات كبيرة من قِبل الفرنجة وبعض أمراء المسلمين ، ولكنه استطاع ـ بفضل ما آتاه الله من حنكة وبراعة وشجاعة وصبر على الشدائد ـ أن يتجاوز العقبات ويذلل الصعاب ، ويعد العدة للمعركة الفاصلة مع الصليبيين واسترداد بيت المقدس ، وكان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعاونه في أداء مهماته إخوته وبنوه وبنو إخوته ، الذين كانوا خير عون له في إدارة دفة حكومته ، وذبِّ أهل الصليب عن حياض دولته .

المعركة الفاصلة

كان الناصر صلاح الدين قد عقد هدنة مع الفرنج سنة ٥٧٦هـ لكي يتمكن من إرساء قواعد الأمن فيما آل إليه من الدويلات ، ويجعلها متحدة قادرة على تزويده بالمال والرجال لفتح بيت المقدس واسترداده ، ولكن صاحب قلعة الكرك ريجنالد (أرناط) الصليبي خرق الهدنة ، وعزم على غزو مكة والمدينة ، وأبحرت قوة من فرسانه في البحر الأحمر متجهة نحو المدينة المنورة ، فباغتتها سرية مصرية ، وقتلتها عن آخرها إلا عدداً قليلاً فروا مع ريجنالد (أرناط) ، ولكنه ظل يتوعد ، وقطع طريق الحجاج ، وقال انطلاقاً من حقده الصليبي الأعمى : «إذا كان أبناء ثقون يمحمد فليأت محمد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لينقذهم» ، فلما بلغ هذا النبأ صلاح الدين أقسم ليقتلن ريجنالد بيده .

ونشبت المعركة الفاصلة بين جيش صلاح الدين وجيوش الصليبيين عند حطين بالقرب من طبرية ـ سنة ٥٨٣هـ ـ ، وهي كما قال العماد الأصفهاني الكاتبُ الثاني لصلاح الدين : «السنة الحسنة المحسنة ، والزمان الذي نقضت على انتظار إحسانه الأزمنة وطُهِّر فيه المكان المقدس الذي سلمت بسلامته الأمكنة . . . ونصرت الدولة الناصرية ، وخُذلت الملة النصرانية ، وتميز الطيب من الخبيث ، وانتقم التوحيد من التثليث . .» .

وكان التقاء الفريقين يوم الجمعة (٢٤/٤/٥٨٣هـ) حيث جمع صلاح الدين جيوشه من المشرق (إربل والجزيرة وديار بكر) وبلاد الشام ومصر ، فكان قوامها اثني عشر ألفاً ، وكان جيش الفرنج حوالي ستين ألفاً ، وكان صلاح الدين يتخير أن يكون اللقاء يوم الجمعة في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معاركه وقت أداء الصلاة ليوافق الوقت الذي يدعو له المسلمون في الأمصار .

كان صلاح الدين خبيراً بأرض المعركة ، فاختار لجيشه مكاناً مشرفاً على الآبار ، ودخل الصليبيون أرض المعركة وهم يلهثون من الظمأ في حر الصيف ، فدارت دائرة السوء على عبدة الصلبان ، وأظلم وجه الكفر والطغيان ، حتى إذا كان اليوم التالي السبت ٢٥/٤/٥٨٣هـ واشتدت حرارة الجو ، وهبت ريح باتجاه الصليبيين انتهز المسلمون الفرصة ، وأشعلوا النار في الأعشاب البرية التي كانت أصبحت هشيماً في فصل الصيف ، فتأججت النار تحت سنابك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر النار ، واشتد عليهم وطأة السيوف والرماح والنبال ، فمكن الله منهم ، وقُتل منهم ثلاثون ألفاً ، وأُسر ثلاثون ألفاً ، وكان ملوكهم جميعاً ضمن الأسرى ، وفيهم ريجنالد صاحب قلعة الكرك ، الذي كان صلاح الدين قد نذر دمه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجيء بملك القدس وصاحب الكرك ، وقدم صلاح الدين للملك المأسور شراباً بارداً . أما ريجنالد (أرناط) صاحب الكرك فقد خيره صلاح الدين بين الإسلام والموت ، فأبى الإسلام ، فقتله صلاح الدين بيده ، وفاءً بنذره . تحلةً لقسمه .

بعد هذا الانتصار الباهر أصبح الطريق لفتح بيت المقدس ممهداً ، فقد عمد صلاح الدين بعد ذلك إلى فتح الحصون الساحلية لقطع الإمداد عن الصليبيين المتحصنين في القدس ، ثم سار إليها وحاصرها ، فعرض عليه الصليبيون الصلح فأجابهم إليه .

وهنا تبدو خصال صلاح الدين النبيلة ، وسجاياه الحميدة التي غذاها الإسلام دين العفو والتسامح ، فبدلاً من أن ينتقم لما قام به عبدة الصليب في أثناء دخولهم القدس من قتل فظيع ، نجده يقبل الصلح ، ويأخذ من أهلها فدية يسيرة ، ومن لم يفتدِ بقي أسيراً ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفضلاً عن هذا فقد أطلق سراح الآلاف من العجزة الفقراء الذين لم يجدوا ما يفتدون به أنفسهم ، وسمح لمن يدفع الفدية بالاتجاه إلى صور آمناً . وأقسم ملوك أوربا ألا يعودوا إلى حرب صلاح الدين ؛ ولكنهم سرعان ما نكثوا عهودهم ومواثيقهم بعد اجتماعهم في صور ، فأخذوا يعدون العدة مرة أخرى لمحاربة المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس .

ولكن الله كان لهم بالمرصاد ، فلم يتمكنوا من احتلال القدس مرة أخرى إلى أن وقعت الحرب الصليبية في العصر الحديث ، حيث دخلت جيوش أوربا القدس ووهبوها لليهود .

لم تمضِ سنتان على فتح القدس واستردادها حتى نكث ملوك عبدة الصليب عهودهم وتوجه الذين اجتمعوا في صور نحو عكا ، وحاصروها ، ولما بلغ ذلك صلاح الدين هبَّ لنجدتها ، ونازل الصليبيين حولها مدة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طويلة من الزمن ، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين . وأوشك الصليبيون أن يتركوا ساحة القتال عندما طال الحصار ، ولكن جاءتهم الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ملك انكلترة ريتشارد وملك فرنسا فيليب أغسطس بإمدادات رفعت من معنوياتهم ، واستطاعوا بعد حوالي سنتين من دفاع أهلها من داخلها ، ودفاع جيش صلاح الدين من خارجها أن يحتلوا عكا ، وبسقوط عكا ظن ريتشارد أن الطريق إلى القدس قد انفتح أمامه ، ولكن صلاح الدين استطاع الوقوف في وجه قواته ، ومنعها من الوصول إلى القدس .

وقد أظهر صلاح الدين في حربه مع ريتشارد من نبل السجايا ما بهر به الغرب ، فمن ذلك أنه ـ رحمه الله ـ أرسل إليه فرساً يحارب عليه عندما رآه يحارب راجلاً ، ومنها أنه أرسل إليه في مرضه الفاكهة والطعام وطبيبه الخاص .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعندما وجد ريتشارد أن لا فائدة من منازلة صلاح الدين عقد معه صلحاً لثلاث سنوات ، وفق الشروط التي وضعها صلاح الدين ـ رحمه الله ـ ، ثم رحل عن فلسطين ، متوعداً أنه سيرجع بعد ثلاث سنوات ليستولي على بيت المقدس ، ولكنه لم يعد بعد ذلك أبداً ، حيث أخلد في بلده إلى الراحة وانغمس في الملذات .

وبعد رحيله بحوالي سنة أي سنة ٥٨٩هـ توفي صلاح الدين ـ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عما قام به من الأعمال الجليلة خير الجزاء ـ .

نهاية الرحلة

في شهر صفر سنة ٥٨٩هـ مرض صلاح الدين فجأة ، واشتد عليه المرض يوماً بعد يوم ، حتى إذا كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر استدعى أحد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المشايخ ليبيت عنده ، يقرأ القرآن ، ويلقنه الشهادة ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في الغمرات : ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو عالمُ الغيب والشهادة**﴾ [الحشر : ٢٢] فقال : هو كذلك . فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل ، فدخل عليه وهو في آخر رمق ، فلما قرأ القارىء : ﴿**لا إله إلا هو عليه توكلت**﴾ [التوبة : ١٢٩] تبسم ، وتهلل وجهه ، وأسلم روحه إلى ربه ـ سبحانه ـ رحمه الله ـ ، وأكرم مثواه ، وجعل الجنة مأواه .

قال ابن خلكان : «وكان يوم موته يوماً لم يُصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فُقد الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ ، وغشي القلعة والمُلك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ . وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم ، وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص ، إلى ذلك اليوم ، فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قُبلَ الفداءُ لَفُدِيَ بالأنفس . . .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخرج بعد صلاة الظهر - رحمه الله - في تابوت مسجى بثوب فوط ، فارتفعت الأصوات عند مشاهدته ، وعظم الضجيج ، وأخذ الناس في البكاء والعويل ، وصلوا عليه أرسالاً . . . » ودفن في داره بالقلعة في دمشق .

وقد رثاه الشعراء بمراثي كثيرة ، أجودها مرثية كاتبه العماد الأصفهاني وفيها يقول :

أين الذي ما زال سلطاناً لنا
يُرجى نداه وتُتقى سطواته
أين الذي عنت الفرنج لبأسه
ذلاً ومنها أدركت ثاراته

ولم يترك - رحمه الله - في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا بستاناً ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك ، وكان له من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقفتان قبل الختام

الـوقفة الأولى : عند نهجه ـ رحمه الله ـ في توحيد بلاد المسلمين وتكوين جيش لمحاربة الصليبيين ، فلم يكن يهدف من حروبه مع الأمراء المسلمين احتلال ما تحت أيديهم من البلاد والأصقاع ، وإنما كان يريد منهم المشاركة في الجهاد ضد عبدة الصليب ، فكان إذا وجد من أحـدهم انحيازاً نحو الصليبيين أو تقاعساً في أداء واجبه نحو الجهاد ، حاول رده بالحسنى ، فإن لم تنفع لم يكن بد من استعمال القوة .

لقد كان هدفه الأول تحرير بلاد المسلمين من رجس الكـافـرين ، فحـاول ما وسعـه الجهـد تكـوين جيش إسلامي من مختلف الإمارات والولايات ، وقد نجح في ذلك إلى حد ما ، وأقول إلى حدّ ما ، لأن هذا الجيش لم يكمل معه المسيرة بعد حطين .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والـوقفة الثانية : عند نسبه - رحمه الله - فقد ذكر بعض النسّابة أنهم - أعني آل أيوب - يرجع نسبهم إلى مضر بن نزار ، فهم على هذا الزعم من العرب المستعربة قال ابن خلكان : «وسمعت شيخنا القاضي بهاء الدين - عرف بابن شداد - يحكي عن السلطان صلاح الدين أنه أنكر ذلك ، وقال : ليس لهذا أصلٌ أصلاً» .

وكفى بصـلاح الـدين شاهـداً في هذه القضية ، والحق أنهم من الأكراد الروادية (الروادية) وهم بطن من بطون قبيلة هزان ، وكان جدهم شادي بن مروان يسكن قرية دوين التي كانت في ذلك الوقت تابعة لأذربيجان .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

هذا هو صلاح الدين يوسف بن أيوب ناصر السنة وقاهر الصليبيين ، اعترف بفضله القاصي والداني ، وأقرَّ ببطولته السامية المحبُّ والشاني .

كتب عنه ول ديورانت فقال : «تعلم فنون السياسة والحرب ، ولكنه جمع إليها صلاحاً وتمسكاً بالدين ، وتحمساً له ، وإتقاناً لأصوله ، وبساطة في المعيشة لا تكاد تفترق عن بساطة الزهاد . . . وكان خير أثوابه ثوباً من الصوف الخشن الغليظ . . . » .

وبعد أن سرد أعماله الجليلة في إدارة البلاد وتحقيق مصالح العباد من إنشاء المشافي والمساجد والمدارس وإزالة الضرائب ، ورد المظالم ، وتشجيع العمارة والعلوم ، قال : «وكانت البلاد الإسلامية تفخر بعدله وصلاح حكمه ، بينما كانت المسيحية تعترف بشهامته وإن لم يكن من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال أيضاً في موضع آخر : «كان في العادة شفيقاً على الضعفاء ، رحيماً بالمغلوبين ، يسمو على أعدائه في وفائه سمواً جعل المؤرخين المسيحيين يعجبون كيف يخلق الدين الإسلامي (الخاطىء في ظنهم) رجلاً يصل في العظمة إلى هذا الحد» .

ونختم الخاتمة بوصيته ـ رحمه الله ـ لابنه الظاهر :

«أوصيك بتقوى الله تعالى فإنها رأس كل خير ، وآمرك بما أمرك الله به فإنه سبب نجاتك ، وأحذرك من الدماء والدخول فيها والتقلد بها ، فإن الدم لا ينام ، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالهم ، فأنت أميني وأمين الله عليهم ، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر ، فما بلغتُ ما بلغتُ إلا بمداراة الناس ، ولا تحقد على أحد ، فإن الموت لا يُبقي على أحد ، واحذر ما بينك وبين الناس فإنه لا يُغفر إلا برضاهم ، وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك ، فإنه كريم» .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رحم الله صلاح الدين ومن شاركه في طرد الصليبيين من قواده الكماة الميامين وجنوده الفدائيين . . . آمين

والحمد لله بدءاً وختماً ، والصلاة والسلام على عباد الله الذين اصطفى .

وكتبه العبد الفقير الراجي عفو ربه وغفرانَه ، ورحمتَه ورضوانَه

بهاء الدين بن عبدالوهاب بن ملا أحمد بن عبدالرحمن الكردي

أبها - في ٢٢/٣/١٤١٤هـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثبت المراجع

١ ـ **البداية والنهاية** / لابن كثير ـ ط ٣ ، دار الكتب العلمية .

٢ ـ **خلاصة تاريخ الكرد وكردستان** / محمد أمين زكي ، ترجمة محمد علي عوني ـ مطبعة السعادة بمصر . (القسم الثاني ـ تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي) .

٣ ـ **الدول الإسلامية** / ستانلي لين بول ـ ترجمة محمد صبحت فرزات ـ مكتب الدراسات الإسلامية ـ دمشق : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

٤ ـ **سنا البرق الشامي** / للعماد الأصفهاني ـ اختصار الفتح بن علي البنداري ـ تحقيق د. فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي بمصر ـ ١٩٧٩م .

٥ ـ **شرفنامه** / شرف خان البدليسي ـ ترجمة محمد علي عوني ـ مراجعة وتقديم يحيى الخشاب ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

٦ ـ **قصة الحضارة** / ول ديورانت (ج١٣ ، ج١٥) ـ ترجمة محمد بدران ـ الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

٧ ـ **وفيات الأعيان** ، / لابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس ـ بيروت : دار صادر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة ٥
الشدائد تنتج الأشداء ٧
رحلة الجهاد (٥٥٩ ـ ٥٨٩هـ) ١٢
المعركة الفاصلة ١٧
نهاية الرحلة ٢٣
وقفتان قبل الختام ٢٦
الخاتمة ٢٨
ثبت المراجع ٣١
الفهرس ٣٢